

التبيان في تفسير القرآن

(237) وقوله " إن كنا فاعلين " قيل في معنى (إن) قولان: أحدهما - أنها بمعنى (ما) التي للنفي، والمعنى لم نكن فاعلين. والآخر - أنها بمعنى التي للشرط، والمعنى إن كنا نفعل ذلك، فعلناه من لدنا، على ما أردناه إلا أنا لانفعل ذلك. وقوله " من لدنا " قيل: معناه مما في السماء من الملائكة. وقال الزجاج: معناه مما خلقه. ثم قال تعالى " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه " معناه إنا نلقي الحق على الباطل فيهلكه، والمراد به إن حجج الله تعالى الدالة على الحق تبطل شبهات الباطل. ويقال: دمع الرجل إذا شج شجة تبلغ أم الدماغ، فلا يحيا صاحبها بعدها. وقوله " فإذا هو زاهق " أي هالك مضمحل، وهو قول قتادة. يقال: زهق زهوفا إذا هلك. ثم قال لهم، يعني الكفار " ولكم الويل مما تصفون " يعني الوقوع في العقاب، جزاء على ما تصفون الله به من اتخاذ الاولاد. ثم أخبر الله تعالى بأن " له من في السموات والارض ومن عنده " يعني الملائكة أي يملكهم بالتصرف فيهم (لا يستكبرون) هؤلاء عن عبادة الله (ولا يستحسرون) قال قتادة: معناه لا يعيون. وقال ابن زيد: لا يملون، من قولهم: بغير حسير إذا أعيا ونام. ومنه قول علقمة بن عبدة: بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب (1) وقيل: معناه يسهل عليهم التسبيح، كسهولة فتح الطرف والنفس - في قول كعب - والاستحسار الانقطاع من الاعياد مأخوذ من قولهم حسر عن ذراعه إذا كشف عنه. ثم وصف تعالى الذين ذكرهم بأنهم (يسبحون الليل والنهار) أي ينزهونه عما أضافه هؤلاء الكفار اليه من اتخاذ صاحبة والولد، وغير ذلك من _____ (1) تفسير الطبري 17 / 9 (*)